

اللون ودلالاته في الشعر الفلسطيني المقاوم

الأستاذ الدكتور محمود شكيب انصاري
جامعة شهيد جمران أهواز

*الدكتور عاظم عبيات
جامعة شهيد جمران أهواز

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

الملخص:

يعتبر اللون عنصراً مهماً من عناصر التعبير الفنيّ و كشفاً معرفياً، يسعى لسبر أغوار النفس الإنسانية واستدراجها إلى عالم الظهور، وهو يشكل اللبنة الرئيسية في القصيدة شكلاً ومضموناً، بما يحمل من دلالات جمالية، تغطي الأبعاد الفنية للصورة الشعرية، فدلالته كما يقال تتغير تبعاً للسياق والأثر النفسي، فمنذ النكبة عام 1948 واحتلال فلسطين من قبل الكيان الصهيوني، تجنّد الكثير من شعراء فلسطين للذود عنها، حسب ما يمتلكون من قدرات فكرية وفنية، فقد حمل بعضهم السلاح والتحق بالرفاق ونال الشهادة في هذا الدرب واتخذ بعضهم الآخر من الشعروسيطة تحريضية وسلاحاً فتاكاً ضد المحتل ولكي يكون لسلاحهم الشعريّ فاعلية أقوى في التواصل مع الشعب والأمة، عكفوا على توظيف الرموز ومنها اللون ودلالته، لما فيه من قدرة على توجيه الأفكار وتعميق الرؤية الفنية. فالشعر الفلسطيني المقاوم المعاصر منذ البداية تعامل مع هذا الرمز باعتباره وسيلة فاعلة ذات قدرة هائلة وغنية من التأثير والنفاذ وعاملاً مؤثراً في إغناء الصورة وتخصيبها، فعمد إلى تجاوز حدود الألوان وصياغة قيم شعرية جديدة لها، مع مدّها بطاقة تعبيرية مميزة، وظفّها أسلوبياً ودلالياً لتحقيق التأثير المعنوي والوجداني. لذا سنتناول في هذا المقال، اللون ودلالته ومدى فاعليته في توليد الدلالات التي تخدم القضية الفلسطينية وتكشف عن معاناة الإنسان الفلسطيني على المستوى النفسي والاجتماعي. الكلمات الدليلية: اللون، دلالة، فلسطين، الشعر المقاوم المعاصر

Abstract :

Color is one of the important elements of speech and art recognition and always seeks influence on man and reveals the beauty of him as infrastructure in terms of form and content. This covers the artistic aspects that give the poem the poetic image. The occupation of Palestine in 1948 by the Zionists made many of the poets defend Palestine according to their talents and creativity. Some of them took up arms and were martyred in this way and others took poetry to stimulate peoples feelings as a weapon against the occupation. It was a link with the people in relation to colour and meaning. Since the emergence of a powerful symbol of Palestinian poetry and painting in rich colors make a poem an effective means in making the poetic image more beautiful. This paper tries to analyze the implications and use of color symbols and its implications to show the pain of the Palestinian people in social and psychological level.

Keywords: color . symbol . Palestine . modern resistance poetry .

المقدمة:

وبيان بشاعة ممارسته القمعية أم لا؟

الخلفية التاريخية

اللون من الوسائل الشعرية الحديثة التي عمل على توظيفه الشعر العربي الحديث ومنه شعر فلسطين، لغايات ودلالات متعددة وحسب ظني ومتابعتي لم أحصل على أثر، عالج اللون في الشعر الفلسطيني بصورة مستقلة، بل كل ما وجدته رغم تشابهه يصب في الشعر العربي الحديث ومنه الشعر الفلسطيني. فأبرزه كتاب (اللغة واللون، القاهرة، عالم الكتب) للكاتب عمر أحمد مختار، وكتاب (الألوان في القرآن الكريم، 1990، بيروت) للكاتب عبد المنعم الهاشمي وكتاب (فلسفة الألوان، 2010، الأردن) للباحث الأكاديمي إياد محمد صقر ومقال «الصورة الفنية وسلطة اللون، مجلة الجذور، 2003، العدد 13» للباحث محمود جابر عباس ومقال «سيمياء اللون في الشعر السعودي المعاصر، عالم الكتب، 2008، مج 29 عدد 6-5» للباحث خالد بن محمد جديع. ومقال «الرمز الشعري لدى محمود درويش، نموذجاً الرمز الطبيعي، مجلة علامات، العدد 26» للباحثة رشيدة إقبال.

الشعر الفلسطيني المقاوم

إنّ الشعر الفلسطيني المقاوم في الأرض المحتلة سجلّ صفحات رائعة من النضال والمقاومة على الخريطة الشعرية العالمية وقدّم لتواريخ الادب المقاوم نموذجاً متقدماً في الحقيقة وسمة جديدة، نادراً ما استطاعت آداب المقاومة المعروفة في العصر الحديث أن تأتي بمثله، أو أن تحقق ما يوازيه في المستوى، مقارنة بمهامه الصعبة وظروفه المعقدة التي أوجدها المحتل الصهيوني جراء احتلاله لفلسطين ومرافقه من كبتٍ وتقتيلٍ وسحقٍ للحريات وهدرٍ للكرامة الإنسانية وتشريد الإنسان الفلسطيني. وفي ظل الاحتلال البغيض والنكسات التي رافقت الثورات

لقد عرفت البشرية الألوان منذ أن عرفت نفسها، فالألوان موجودة في كل مكان يوجد فيه بشر، فهي من العناصر الأساسية في الطبيعة وآية من آيات الله، كمانصّ عليه قوله تعالى: «وَمَا ذَرَأْ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ» (النحل / 13) فاللون أبهج مظاهر المدركات الحسية في الكون، وله إسهامات جمالية لا حدود لها في الإبداع والكشف عن مكامن الجمال وخوافيه. فالتوظيف الفني للون قد ينطلق من مرجعيات معرفية أو من اللاوعي المعرفي للشاعر، فقد استخدم الشاعر العربي، اللون للتعبير عن الحالة النفسية المراد إيصالها للمتلقى أو لرسم صورة شعرية بالألوان وكما يقال الشعر رسم ناطق أو كما عبر عنه بيكاسو: «الرسم هو الشعر دائماً يكتب على شكل قصيدة ذات قافية تشكيلية» (الكبيسي، طراد، الشعر والرسم، ص 32) فالألوان لها قدرة إيحائية عالية لما لها من بعد فكري ونفسي على المتلقي وقد يلجأ الأديب إلى لغة تواصل مع المتلقي عبر إيجاده شبكة علاقات متجاوزة منتجة لغة تواصلية واللون عنصر مهم في هذه الشبكة لما يحمله من دلالات سيميائية. فرمزية الألوان ودلالاتها تكمن في أنها، تحمل طاقات إيحائية عميقة تسهم في تفعيل الرؤية الفنية، بما تتسم به من عمق في الطرح، كما تسهم في تفعيل مسار القراءة، لأنّ الرمز كما يقال ليس معطى جاهزاً بمقدار ما هو استنفار لقدرات المتلقي، بما يفتحه من أبعاد إيحائية متنوعة. الهدف من وراء هذا المقال الإجابة عن سؤالين المطروحين وهما:

أ: ماهي الغاية والسبب من توظيف الألوان في الشعر المقاوم المعاصر؟

ب: هل استخدام الألوان ودلالاتها في الشعر المقاوم الفلسطيني ساهم في إثراء الصورة الشعرية وجمالها؟ وهل ساهم في تحفيز النضال ضد المحتل

الأديب بها، بل هي بسطوتها على الصورة الشعرية وعلاقتها الوطيدة مع الرؤية الفنية تميّط اللثام عن إحساس الشاعر كي يدخل في نسج الصورة الفنية والتي تشمل على دلالات عدّة منها نفسية واجتماعية ورمزية. فالألوان في الشعر المقاوم الفلسطيني دلالاتها نابعة بالدرجة الأولى من مفاهيم فلسفية وروحية وعقائدية تستمد ركائزها من الإسلام وتعاليمه، لذلك تنوعت مدلولاتها لدى شعراء فلسطين.

اللون الأبيض ودلالاته

يكاد اللون الأبيض من بين الألوان أن يتفرد بدلالاته المعهودة بتوافق البشرية حول إحياءاته ومعانيه. فهذا اللون منذ القدم يشير إلى الطهر والإخلاص والهداية والخير والصفاء والعدل وأيضاً مثقلاً برموز «النقاء والطهارة والنظافة (رياض، عبدالفتاح ١٩٨٥: ٢٥٩) والتي تجسد في نقاء الضمير وصفاء النفس المتمثل بالقلوب البيضاء والأيدي البيضاء، المجبولة على حب الإنسانية، الفارغة من الحقد والكراهية وتارة ترمز دلالات هذا اللون إلى الأمل والتفاؤل والإشراق والتقدّيس والعفة وهذا ما كان متوارثاً في الديانات السابقة من ارتداد اللباس الأبيض في دور العبادة من قبل الكهان وغيرهم واستمرت هذه الدلالات عندما بزغت شمس الإسلام على الجزيرة العربية، فقد وصف الذكر الحكيم، حال أهل الجنة الفائزين برضا الله بالبياض «وأما الذين أبيضّت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون» (آل عمران/ ١٠٧) ووصف الشراب النقي من دون سكر بالبياض كما في قوله تعالى: «بيضاء لذة للشاربين» (الصفات ٤٦) ودعا الإسلام إلى تبني الثوب الأبيض للشعائر الدينية، كالحج، والعمرة، وأيضاً ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ارتداء الثياب البيضاء في الصلاة وغيرها بقوله: «البسوا من ثيابكم البياض،

العربية لتحرير الأراضي المحتلة، فجأة أزاح الشعر الفلسطيني الغبار عن كاهله وتحرر من القيود التي لم تكن بمستوى الحدث» ولكن بمثل المفاجأة تطور هذا الشعر إلى المعاصرة، وأخذ يستخدم الرموز ومنها الألوان ومختلف أدوات الشعر الحديث بعمق وشفافية، يستوعبها القارئ، لماذا هذا التطور السريع عند هؤلاء؟! لأنّ المعركة ذاتها في توثبها الدائم هي في لحومهم وأذهانهم، ولأنّهم موهوبون في قلب النار» (دكروب محمد 1984، ص 207) ولذلك كان على الشعر الفلسطيني أن يخوض معركة شاملة وأن يكون متميزاً في الشكل والمضمون ولهذا السبب أخذت خريطة هذا الشعر تجمع في ثناياها الإيقاع والإيحاء والرمز ومعطيات فنية أخرى لخصوصية النص وإثراته، ليساير تطورات الأحداث والواقع الأليم والحادثة الشعرية كي تصبح مفرداته من عيار ثقيل تدك حصون العدو وقنابل تقض مضاجعه وحجارة تدمي جباهه. فالشاعر الفلسطيني المقاوم في شعره النضالي وظّف قسماً لا يستهان به من الألوان ودلالاتها وإحياءاتها، للتعبير عن قضايا الوطنية وعكف على استخدامها في فنونه الشعرية بكثافة، خلقت منها مادة معرفية دسمة، ينعكس من خلالها التفاعل مع رؤاه المنشودة لتوليد دلالات حديثة تتماشى مع روح العصر وتطلعاته وطموحاته. فأصبح للون ورموزه بمستوياتها كافة أهمية قصوى للشاعر الفلسطيني المعاصر، بحيث غدا استدعاؤها أمراً يثري المضمون الشعري ويكشف عن المعاني التي يصعب الحديث عنها بطريقة مباشرة.

الألوان ودلالاتها في الشعر الفلسطيني

تعتبر الألوان من أكثر الأشياء جمالاً وخصوصية في حياة الإنسان، فالألوان ليست خطوطاً أو مساحات شكلية خالية من دلالات جمالية وتعبيرية ورمزية، أو إنّها صور تعبر عن موضوعات الحياة وانفعالات

ولم أسمع هتاف الطيبين / ولا أنين الخاطئين / أنا
وحيد في البياض / (درويش، صص ١١-١٢)
وتارة يرمز للدلالة الإيجابية المتمثلة بالطهر والبراءة
والنقاء عندما تتلازم الطفولة والحمامة :
ويحملني جناح حمامة بياض صوب طفولة أخرى.
(المصدر نفسه، ص ١١)

وتارة الى السلام والهدوء والأمل :
جندي يحلم بالزنابق البيضاء / يحلم بالزنابق
البيضاء، بغصن زيتون.
(المصدر نفسه، ص ٩٤)

وأحياناً اقتران البياض بكلمة (الأيادي) ليعطي
انطباعاً إيجابياً يزرخ بالخير والعطاء الناجم عن
الأفعال الإنسانية البيضاء. لكن درويش، يبدو
حزيناً بأن هذا الدور للون الأبيض يأخذ بالانحسار
وريداً رويداً عندما تنضب ينابيع الضوء والحرية ،
إذ يقول :

والشمس التي خلف الوهاد / حيث لم يطلع
عليها الفجر / لم يبسط لها بيض الأيادي.
(درويش، عصفير بلا أجنحة، ص ٤٣)

فالأبيض تارة عند الشاعر المقاوم الفلسطيني "سميح
القاسم" يرمز إلى الروح الطليقة الطاهرة لأبناء
فلسطين التواق للحرية .

مَنْ أَيْنَ يَا جَنَازَةَ الْمَلَائِكَةِ ؟ / مَنْ أَيْنَ يَا سَحَابَةَ
بَيْضَاءَ / عَلَى سَطُوحِ الْقَرْيَةِ الْبَيْضَاءِ ؟ / وَالْمَقْبَرَةِ
الْبَيْضَاءِ ؟ (القاسم، ١٩٩٣، ج ٣، ص ٢١١).

وتارة اللون الأبيض يرمز إلى الموت، فالشاعر يتخذ
منه حصاناً ، فالشاعر بهذه الرمزية، يعيد فكرة
الموت والانبعاث منه.

هُوَ ذَا الْمَوْتِ / جَوَادِي الْأَبْيَضِ الصَّاهِلِ فِي كُلِّ
الْجِهَاتِ / هُوَ ذَا الْمَوْتِ / وَإِنِّي قَادِمٌ ... فَانْتَظِرْنِي.
(القاسم، ٢٠٢٧ / ٢)

وهذه الدلالة عن الحصان الأبيض تتكرر
عند الشاعر المقاوم الفلسطيني وتشير إلى استعداد

فإنها أظهر وأطيب، وكفنوا بها موتاكم» ولكن
هذه الدلالة البارزة للون الأبيض (السلام والوئام
والنقاء والطهر) لم تكن متفقة تماماً عند الشعوب
والثقافات الأخرى، فراح يرمز هذا اللون إلى
الحزن والموت والفناء عند الصينيين والأتراك
السلاجقة والعباسيين (البهقي، ٥١٣٧٦، ش، ص ١٣)
فاللون الأبيض في دلالاته الإيجابية يرمز إلى الضياء
والقداسة والبراءة وفي دلالاته السلبية يشير . إلى
الموت والوحشة كما يشير إلى الحزن الذي يؤدي
إلى فقدان البصر كما جاء في قوله تعالى: « وَابْيَضَّتْ
عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ » (يوسف / ٨٤).

أما في الشعر الفلسطيني فوظف شعراء الأرض
المحتلة ، اللون الأبيض بدلالاته الإيجابية والسلبية
فعلى سبيل المثال استعمل الشاعر "فاروق مواسي"
اللون الأبيض للترميز بالعدو الصهيوني، العدو الذي
أوتي به من أوربا واحتل الأرض وقتل أصحابها
وشردهم منها وأصبحوا غرباء عليها.

يأتي «الأبيض» هذا الزاعم أن فلسطين / فلسطين /
فلسطين ي ي ي ن بلاده / ويراني بالحمق في
وطني غريباً . (مواسي، فاروق، ٢٠٠٣، ص ٢١١).

أما عند "محمود درويش" ، فنصاعة هذا اللون
فقدت بريقها، فانطوت على الدلالة السلبية في
أكثر من موضع، فراحت ترمز إلى الموت والفناء.
وأفرغت الكلمات من محتواها الحقيقي نتيجة القتل
والدمار الذي حل بفلسطين نتيجة الاحتلال.

وهذا الكون أبيض / أصدقائي / والملائكة
الصغار / وصورة الأعداء / أبيض / كل شيء
صورة بياض / هذا البحر ملء البحر أبيض.
(درويش، ١٩٩٤، ص ٣٧٩)

وتارة يرمز البياض عند "درويش" إلى العدمية
الناجمة من الغربة والعزلة إذ يقول:

في الفلك الأخير / وكل شيء أبيض... / فأنا وحيد في
نواحي هذه الأبدية البيضاء / جئت قبل ميعادي /

فراح يرمز إلى دلالات وإحياءات عدّة، ولعلّ أبرز سمة للأحمر في الشعر الفلسطيني، ارتباطه بالدم، ممّا جعله لوناً مخيفاً ومقدساً في وقت واحد ممّا نحا في كثير من دلالاته منحى التحدي والثورة والصمود والفرح والسعادة. ومن بين شعراء فلسطين الذين استخدموا هذا اللون بدلالات متعددة ومتنوعة، الشاعر المناضل الفلسطيني "سميح القاسم" والذي وصف الشخصية الفلسطينية بأنها شخصية مسالة تحب التأخي والسلام فرمز إليها بأنها دوماً تحمل "قصة الزيتون" وفي خضم هذا وصل "سميح" إلى قناعة بأنّ هذه الشخصية لا ترى تحرير فلسطين يتم فقط عبر حمل أغصان الزيتون لمن لا يعرف للسلام لغة، بل سيتم ذلك، عبر الثورة والغضب والثأر والعزيمة الذي تجمعت معانيه في اللون الأحمر، المتمثل بقوله (قلبي قمر أحمر) حيث يقول:

مُنْتَصِبُ الْقَامَةِ / أَمْشِي / مَرْفُوعُ الْهَامَةِ / أَمْشِي / فِي كَفِّي / قَصْفَةُ زَيْتُونٍ / وَعَلَى كَتْفِي / نَعْشِي / وَأَنَا .. أَمْشِي / قَلْبِي قَمَرٌ أَحْمَرُ! (القاسم، 1/247)

وتارة يرى أنّ تحرير بلاده سيتم عبر الصمود والتضحية بالأحمر، الأحمر الذي يكتب لأبناء فلسطين تاريخهم ومجدهم.

يَا أَصْدِقَائِي تَكْتَبُونَ / يَا إِخْوَتِي! بِالْدمِ تَكْتَبُونَ / تَارِيخَكُمْ / وَنَشْرَةَ الْأَنْبَاءِ! (المصدر نفسه، 124)

وتكرر هذا المعنى عند لطفي زغلول الذي يجزم بأنّ تحرير البلاد ولو شبر واحد لا يتم إلا بواسطة الدم. تظماً للأوطان يوماً / وبغير الدم ... شبر واحد لا يتحرر / فتقدم هاتفاً: الله أكبر (فتحي، خضر 1999، ص43)

فالشاعر تارة يوظف الزنبقة الحمراء والتي تكتسي المروج والسهول رمزاً، لدم الفلسطيني الذي نذف و ينزف على أرضه. فتنتب الزنابق من رحم هذا الدم. فَإِنَّ زَنَابِقَ حُمْرَاءَ / مُحْبَبَاتٌ لَنَا فِي الرَّمْلِ .. / لا

المناضل للذهاب إلى الموت .

قومي يا أمّ الفارس نسرج ظهر حصان أبيض / قومي لنعدّ له زاداً وحساماً / ها قد ناداه الاصحاح / فيهم خالدٌ وعليّ وسعدٌ وسلامةً. (الرئيس، منير ناهض، ١٩٨٢، ص ١٧)

وتارة الممارسات القمعية العنيفة التي مورست وتمارس على الشعب الفلسطيني الأعزل من قبل الاحتلال الإسرائيلي والتي تهدف إلى إسكات أبناء فلسطين، تحتم على الشاعر الانزياحية في اللغة والتحوير والتوظيف العكسي للمفاهيم، وهذا ما نلمسه في قول "معين بسيسو" للحبر الأبيض:

يا وطني كتب علينا أن نكتب بالحبر الأبيض / كتب عليك بأن تقرأ مانكتب بالحبر الأبيض / كتب علينا الحبر الأبيض / كتب علينا الحبر الأبيض. (بسيسو، ١٩٨٠، صص ٤١١-٤١٢)

فتفاقم الأزمة وشدة المحنة التي يمر بها الشعب الفلسطيني، والذي يبدو لا مفر منها، قدّرت على الشعب الكتابة باللون الأبيض، مما يرمز إلى فقدان الحرية، فتكرار الفعل المجهول «كُتِبَ» يعزز دلالة (البياض) وهي ازدياد نزوة الاختناق والكبت في الأرض المحتلة.

اللون الاحمر

يعتبر اللون الأحمر من أوائل الألوان التي عرفها البشر في الطبيعة، فهو «من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس، واشتعال النار والحرارة الشديدة، وهو من أطول الموجات الضوئية (عمر، أحمد مختار، 1982، ص111) ويعتبر أغنى الألوان وأكثرها تضارباً فهو «لون البهجة والحزن، وهو لون الثقة بالنفس والتردد والشك، وهو لون العنف والمرح، إلى غير ذلك من الدلالات الجزئية المتداخلة والمتباينة في آن واحد) المصدر نفس، ص214-212) هذا اللون كان من أكثر الألوان استعمالاً في الشعر المقاوم الفلسطيني المعاصر

غابة الزيتون كانت دائماً خضراء / كانت يا حبيبي
 / إن خمسين ضحية جعلتها في الغروب / بركة
 حمراء (درويش، 1944، ص 324)
 أما عند الشاعر المناضل "فاروق مواسي" قدم
 الشهيد يأخذ منحه التقديس فيعتبر رمزاً من رموز
 المجد والعزة الذي يبني الأرض بعد خرابها
 يا أيها البطل الشهيد المفتدي / والأرض تبني من
 دمائك / كل يوم معبدا
 (مواسي، 2003، ص 164)
 ويعتبر الشاعر "فتحي قاسم" دم الشهيد سراجاً
 يُضيء الليالي الظلماء ويزيل الحزن والغم ويفك
 أسر العشاق ويروي الثرى.
 دمه سراج في الليالي المظلمة / نهجري /
 يمحوا الأسى / ويفك أسر العاشقين بفيضه / ويروي
 أقداس الثرى ... / (أنطولوجي، 2000، ص 465)
 وعند الشاعر "يوسف حامد" تارة الدماء الحمراء
 التي تنقش على صفحة الزمان، ترمز إلى النهوض
 والتفاؤل من خلال مواصلة الصمود.
 الآن حرك باتجاه الشمس / رأسك وانتفض /
 واحمل حجارتك المباركة / تأخذ من ليل / إلى
 فجر / إلى الدنيا / وانقش على هذا الزمان / دماء
 الحمراء / واصمد / تواصل في نضالك
 (نفس المصدر، ص 247)

اللون الأسود

اللون الأسود منذ الأزل شكل نقطة نفور وخوف
 في الموروث البشري وارتبط بدلالات عدّة منها :
 الظلام والشرّ والموت والغم والوهم.. فالأسود»
 لون يثيري الحزن والتشاؤم والخوف من المجهول
 لارتباطه بأشياء منفرة في الطبيعة دون سائر
 الألوان، فهو مرتبط بالليل والظلام، والزفت
 والسخام، والهباب والرماد المتخلف عن الحريق»
 (عمر، أحمد مختار، صص 204-202) وكان

تَنمو بِدونِ دِماءٍ!
 وتارة يرمز بالزنبقة للقدس ومعاناتها، والتي تسبح
 في بحر من الدماء من كثرة الشهداء الذين سقطوا
 دفاعاً عنها.
 زنبقة حزينة / من دم بنت عمّ / وجدتها مذبوحة /
 زنايق حمراء / ألوانها دماء / زنبقة بريئة / من
 مقلة مفقوءة / (القاسم، 286 / 1)
 وتارة الأحمر يرمز إلى الثورية كما جاء في قصيدته «
 الرجل الذي زار الموت» إذ يقول :
 خلوا القتل مكفناً بثيابه / خلوه... في السفح الخبير
 بمابه / لاتغمضوا عينيه! إن أشعة حمراء مازالت
 على أهدابه (القاسم، 1993، ص 342) فالشاعر
 في قوله « أشعة حمراء» أراد التأكيد بأنّ الشهيد
 مازال ثائراً قدم الثورة والقيام منقوش على أهدابه
 لا يمحى.
 وتارة اللون الأحمر يرمز إلى «الجندي الصهيوني
 القاتل» كما نصّ عليه قول الشاعر:
 الأحمر هذا الخنزير البريّ الحامل في كفيه خناجر
 (مناصرة، عز الدين 2006، ص 422)
 أما عند "خالد نصر" فالدم الأحمر يرمز إلى الثأر
 الذي سيروي مستقبل الشاعر ويحرز النصر.
 من دم الثأر من ثخين الجراح
 سوف أسقي غدي وأروّي سلاحي
 (شراب، محمد حسن، 2006، ص 134)
 وتارة إلى الإنبعث والحياة الجديدة كما جاء في قول
 "سلمى خضراء الجبوسي":
 فمن فوحان الدماء بجسمي / أحس انبعث الربيع
 الشهي / يريق كنوز الشذى والدمقس
 (أنطولوجي، توثيق 2000، ص 287)
 وعند الشاعر "درويش" الدماء الزكية التي سالت
 بواسطة المحتل وممارساته القمعية، هي التي حولت
 غابات الزيتون الفلسطينية الخضراء إلى برك حمراء
 من الدماء.

رمتني في جحيم المنفى.. / بلا أرض .. بلا دار.. بلا
حُبّ.. / بلا أمل .. / (زغلول، لطفي، 2006 ص 80)
د: الهجرة القسرية عن الأرض، كما نصّ عليه قول
درويش:

رايتي سوداء / والميناء تابوت / وظهري قنطرة /
... وقلبي شجرة (درويش، 348)

ه: القاتمة الحالكة جراء احتلال العدو للأرض
وممارسته الوحشية من قتل وسلب: وهذه الصورة
القاتمة من العدو المحتل وممارسته تلمسها عند
أكثر من شاعر فهذا (سليم مخولي) يُحمّل الاحتلال
كل المآسي والأحزان التي جثمت على الشعب
الفلسطيني. إذ يقول:

زمن أسود / عصر أسود .. من غرف التاريخ
المظلمة / انفلت التاريخ الأسود / انفلت التاريخ
الأسود / قلب أسود / ينظر في مرآة الذات /
فيبصر وجهاً أسود / لص أسود يدخل من شرفة
أحلام الليل / فيسرق قمحاً وحبلياً / بسمّة طفل
أو غفوة كمل / يكسر محبرة قلم رصاص / يخطف
لوح الصف الأسود.

(سقيرق، طلعت، د.ت، عشرون قمرا من
وطني، ص 56)

و: التشاؤم واليأس نتيجة هيمنة اللون الأسود على
حياة الفلسطينيين

ماذا تبتغي / وشعاع الشمس تلوث باللون
الأسود / وتلاشى خلف الأقدار المجهولة.

(صالح، عبد الناصر، 1989 ص 85)

كما تردد أصداء هذا المعنى عند "سميح القاسم":
ليس لدي ورق ولا قلم / لكنني.. من شدة الحر،
و من مرارة الألم / يا أصدقائي لم أنم / فقلت:
ماذا لو تسامرت مع الأشعار / وزارني من كوة
الزّنزانة السوداء / لاستخفوا زارني وطوّأ
/ ورّاح في نشاط / يُقبل الجدران في زِنزانتِي
السوداء (1 / 52)

«شعارالعباسيين في أحزانهم ومصائبهم وشعار
أغلب الدول العربيّة يتضمّنهما اللون الأسود
تأثراً ببית الشعر المعروف « سودّ وقائعنا حمراً
مواضينا» (الصقر، أيا، 2010، ص 167) هذا اللون
في العصر الحديث، اكتسب دلالات وإيحاءات أخرى
منها التعقيم والكبت والكآبة والخطيئة والتعسف
وغير ذلك من الإيحاءات. والشعر الفلسطيني المقاوم
استلهم الكثير من تلك الدلالات وراح يرمز لهذا
اللون بعبارات ومعان شتى ومنها:

أ: الترميز بالسود إلى العدو الإسرائيلي

لون أسود ينذر / يتربص بالنور / يهمني بسخام
وبثور / فاللون الأسود مغرور / ذاك لأنّ اللون
الأسود مأجور / هذا لون أسود يطفئ ويجور /
فمتى يضحي الإشراق على وجه الماء / صفو سماء
وعبير؟؟ (مواسي، فاروق، 112)

الشاعر الفلسطيني بسبب الكبت والقمع من قبل
الاحتلال لا يستطيع الإفصاح عما يكنه في صدره
، بل يلجأ إلى لغة الرمز اللوني ، وهذا ما فعله فاروق
مواسي ، حيث رمز إلى العدو الإسرائيلي بالأسود
الذي يهدد ويتربص بالنور وفي نهاية القصيدة
يشكو ويتمنى زوال هذا الديجور والظلام الدامس
حتى يتمكن النصر من الإشراق على أرض الوطن.

ب: الحزن والقلق نتيجة الهيمنة الصهيونية

جرائد كالليل مسودة (درويش 1994 ص 22)

والحافز الذي دفع درويش إلى الترميز بالسود عن
الجرائد، كثرة الكذب والتعقيم المنهج فيها، فيما
أثار قلقاً في نفس كل من يتناولها.

ج: النكبة واحتلال إسرائيل لفلسطين عام 1948

الشاعر الفلسطيني رمز لإحتلال إسرائيل لفلسطين
عام 1948، باليوم الأسود والعاصفة السوداء، مما
يشير هذا اللون وهذا الوصف الى فداحة الحدث
وهول الصدمة. وذات يوم أسود / ليس من أجندة
تاريخ الإنسانية / إقتلعتني عاصفة سوداء ... /

اللون الأخضر

يعتبر اللون الأخضر من الألوان المفضلة والمحبة لدى الإنسان، ويحمل في طياته معاني سامية عدة فهو من أكثر الألوان استقراراً ووضوحاً في الدلالة، فهو «لون الخصب والنعيم، والنماء والزمرد والزبرجد (عمر، مختار، ص 209) وأيضاً «قرين الشجرة رمز الحياة والتجدد، وهو مرتبط بالحقول والحدائق وهدوء الأعصاب (عجينة، محمد 1988 صص 291-292) وقد اقترن اللون الأخضر لما يمثله من الخلود والتجدد بإيحاءات كالأمل والتفاؤل والعطاء والفرح والبهجة والرفاهية، والنعيم... حتى وصف الله ثياب أهل الجنة ومقاعدهم بهذا اللون نظراً لرمزيته الخاصة، حيث قال ربّ العزة في محكم كتابه: «ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق (الكهف / 31) وأيضاً قوله: (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان (الرحمن / 76) فالرمزية التي يتمتع بها هذا اللون، جعلته يتبوأ الرتبة الأولى في الشعر الفلسطيني بين الألوان، حيث درج شعراء الأرض المحتلة على توظيفه وتكاد لاتجد قصيدة واحدة من غير أن تجد له أثراً فيها. ومن هذا المنطلق تنوعت دلالات وإيحاءات هذا اللون في الشعر الفلسطيني ومن أبرزها:

أ: تجدد الحياة والانبعث من رحم رماد الأسطورة
جَدَّ أَيْهَا الْأَخْضَرُ مَوْتِي / إِنَّ فِي جَنَّتِي الْأُخْرَى
فَصُولاً وَبِلَادَ / أَيْهَا الْأَخْضَرُ فِي هَذَا السَّوَادِ
السَّائِدِ / وَالْأَخْضَرُ فِي كُلِّ رَمَادٍ / لَنْ أَسْمِيكَ
انْتَقَالَ الرَّمْزَ مِنْ حِلْمٍ إِلَى يَوْمٍ / أَسْمِيكَ الدَّمِ الطَّائِرِ
فِي هَذَا الزَّمَانِ وَأَسْمِيكَ انْبِعَاثَ السَّنْبِلَةِ (درويش، محمود، 1994 ص 654)

اتخذ درويش من الدم الفلسطيني الذي ينزف على أرضه رمزاً من رموز الانبعث وأضفى عليه اللون الأخضر الذي يتسم بالحياة والعطاء المتجدد، ليربط

و: الأمل بمحو السواد ودفع الاحتلال

أَنَا زَيْنَتْ جِبْهَتَهُ / بِقَافِلَةٍ مِنَ الشَّهَدَاءِ وَالشَّهَبِ /
فَلَا تَخْشَى سَوَادَ الْأَفْقِ وَالزَّمَنِ، أَنَا كَالْبَرْقِ الْأَخْضَرِ
يَا وَطَنِي. (دغش، سليمان 1979، ص 75)
و هذا المعنى أيضاً تردد عند الشاعر "إبراهيم المقادمة" الذي يعتقد أنّ لحظة الخلاص والانعتاق من براثن المحتل آتية لا محالة، والعودة إلى الأوطان من الغربة المتصفة بالسواد حقيقة لا لبس فيها.
عائِدٌ مِنْ ثَنَائِيَا غَرْبَتِي السُّودَاءِ عَائِدٌ / عَائِدٌ مِثْلَ فَجٍّ
النُّورِ فِي قَلْبِ الْمَجَاهِدِ

ح: استدعاء صورة المسيح لبيان السواد والحزن الذي لفّ القدس والكنائس.

يَاسِيدُ، يَا مَجْدَ الْأَكْوَانِ / فِي عَيْدِكَ تَصْلُبُ هَذَا الْعَامِ /
أَفْرَاحَ الْقُدْسِ / صَمَتَتْ فِي عَيْدِكَ يَاسِيدُ كُلُّ الْأَجْرَاسِ
/ مِنْ أَلْفِي عَامٍ لَمْ تَصْمَتْ / فِي عَيْدِكَ إِلَّا هَذَا الْعَامِ /
فَقَبَابُ الْأَجْرَاسِ حَدَادٌ / وَسَوَادٌ مُلْتَفٌّ بِسَوَادِ. (طو
قان، 1969: 31)

فالشاعرة استدعت صورة المسيح والصلب واللحظة التي صلب فيها، فعمّ الحزن والسواد على العالم نتيجة، للعمل الشنيع الذي قامت به اليهود آنذاك، لمعالجة الحالة المعاصرة الفلسطينية و ما آلت إليه الأوضاع السوداوية للقدس والكنائس، جراء الاحتلال الصهيوني الغاشم.

ط: بيان القمع والاضطهاد وتحمل الولايات

وُظِفَ الشَّاعِرُ "مَعِينُ بَسِيْسُو" اللَّوْنَ الْأَسْوَدَ، لِبَيَانِ
الْقَمْعِ وَالْاضْطِهَادِ وَالتَّعَسُّفِ الَّذِي يَمْرُّ بِهِ الشَّعْبُ
الْفَلَسْطِينِي مِنْ قَبْلِ الْاِحْتِلَالِ الْإِسْرَائِيلِي. وَلَمْحٍ إِلَى
تِلْكَ الْمَقُولَةِ بِعِبَارَةِ (مَرَايَا سُودَاءَ):

يَتَكَسَّرُ فِي وَجْهِهِ / شَلَالُ مَرَايَا سُودَاءِ / مِنْ
أَجْلِكَ أَرْجَمَ بِالنَّارِ / مِنْ أَجْلِكَ أَحْمَلُ أَغْلَالِي /
(بسيسو، 1980 ص 173)

أحبائي / أنا بالورد والحلوى / وكل الحب أنتظر /
أنا والأرض والقمر / وعين الماء والزيتون والزهر /
وبياراتنا العطشى / وسكتنا ، وكرم ودوال ! /
وألف قصيدة خضراء / منها يورق الحجر. (زياد،
صص132-131)

فالشاعر من خلال إستخدام صفة «الخضراء»
لقصائده والتي تنجز تحولاً ثورياً في مسار المقاومة
ضد المحتل، قصد إبراز جانب من جوانب المستقبل
المشرق والحياة المزدهرة بتوظيف الأخضر لها
والتي فيها يورق الحجر.

د: الصبر والأمل

الترميز باللون الأخضر عند "سميح القاسم" يأخذ
منحى آخر فالشاعر وظّف لهذا الغرض، قصة نبينا
نوح (ع) لإبراز جانب من جوانب الصبر والسمود
والخلود والأمل للشعب الفلسطيني، وأراد التأكيد
بأنّ سفينة فلسطين التي تجرى على بحر من دماء
أبنائها رغم الأعاصير والرياح العاتية سترسو في
أحضان الزيتون.

لَنْ يُطْفِئَ نَوْرَ إِرَادَتِنَا / لَنْ يُطْفِئَ نَوْرَ مَحَبَّتِنَا
/ طَوْفَانُ الدِّمِّ / قُولُوا لِلْجَدِّ الطَّيِّبِ نُوْحَ / هَيَّءْ
فَلْفَلَكَ كَ مِنْ أَجْسَادِ الشَّهْدَاءِ / وَاصْعَدْ يَا نُوحُ
عَلَى طَوْفَانِ الدِّمِّ / بَعْدَ الشَّدَةِ يَرْسُو فَلَكَ كَ فِي قِمَمِ
الزَّيْتُونِ الْخَضْرَاءِ . (القاسم، ج2: 336)

ه: التحدي والنهوض من رحم المأساة رغم التقتيل
والتنكيل

تارة توظيف اللون في مجابهة القتل والبطش يعتبر
إحدى وسائل التحدي ومن أبرز هذه الألوان، اللون
الأخضر الرامز إلى البعث والنهوض، وهذه الدلالة
تجسدت في قول الشاعر "ممدوح" والذي اعتبر أنّ
غصن الحياة لم يمت بقطع الشجرة ، في ترميز
مباشر للإنسان الفلسطيني، فكل فلسطيني يسقط
على الأرض، سيتحول إلى غصن أخضر يضح
الحياة في جسم الصحراء.

الدم الأخضر بالفنيق (الطائر الشهير الذي يبعث
ثانية عندما يموت) الذي سيحول رماد الأمة إلى
خضرة دائمة .

وهذا الترميز للون الأخضر يتضح عند شاعر
فلسطيني آخر.

أصف الزعرور / أقول: رمادٌ أخضر ، ينمو في
ذاكرتي . (مناصرة، ص427)

ب: الحلم والأمل بعيش رغيد بعيداً عن الحقد
والكراهية، كما جاء في قول "صالح علي عدوان":

أحلم بسماء لاتغرب عنها الشمس / أحلم بليال
تفرح فيها القدس / أحلم ببلاد خضراء / يحيا فيها
الحب وتنتحر البغضاء (سقيرق، طلعت، د. ت، 34)

ج: التفاؤل بمستقبل مشرق رغم المحن والمآسي، كما
ذهب إليه "مصطفى مراد":

عصفور يبني عِشاً / وفراخ تنتظر المستقبل /
وطني / ووعود تنتظر الأجنحة / وحلم بالأمل
الأخضر المثقل / وسنابل تنتظر المنجل / وحلمت
بحقل أخضر. (المصدر نفسه، ص43)

وانعكست هذه المعاني عندالشاعر المناضل (لطفي
زغلول) الذي اتخذ من اللون الأخضر رمزاً للأمل
والتفاؤل في ظل ضباب كثيف يكتنف واقعه المرير.

فلقد أمنت بأنّ غداً آتٍ... / تحمله أجنحة التغيير /
وبأنّ الأحلام الخضراء.. / ستزهر رغم ضباب

الرؤية والتفسير / (زغلول، 2006، ص73)

إحياءات هذه الدلالة انعكست تماماً عندالشاعر
المقاوم الفلسطيني "توفيق زياد" فالحديث عن
مستقبل مشرق وسط الركام الناجم من الاحتلال
وممارسته القمعية يبدو بعيد المنال، أما الشاعر
توفيق زياد فبثقته العارمة المفعمة بالتحدي
والحياة، يرسم ذلك المستقبل من خلال توظيف كتلة
من العناصر التي تتصل بطبيعة الحياة (الأرض
والقمر، وعين الماء، والزيتون والزهر، والبيارات
والكروم...)

الأخضر صوت الحجر الناري / الأخضر يولد حين يموت. (مناصرة؛ عز الدين، 348)

وهناك دلالات إيجابية عدّة لهذا اللون لانروم الخوض فيها لكن من الدلالات السلبية لهذا اللون ، هو الجمال البادي له ويمكن أن يكون مظهراً خادعاً ، يثير النفس ويدفع الرغبة وهذا ما أكدّه الرسول الأكرم (ص) بقوله : إياكم وخضراء الدمن، قيل : وما خضراء الدمن؟ قال : الفتاة الحسناء في منبت السوء. لأنّ ما ينبت في الدمنة وإن كان ناضراً لا يكون ثامراً (الرازي محمد، مختار الصحاح، 181) وهذا المعنى السلبي لهذا اللون نجد أصداءه التناسية، في قول "ماجد الدجاني" إذ يقول :

عجباً لزرقاء اليمامة صوتها هدرأً يضع / تقول (: إياكم وخضراء الدمن) وتصيح إياكم وأزهار المزابل. (الدجاني، 1999 ص76)

اللون الأصفر

اللون الأصفر من الألوان الساخنة الذي يتضمن إحياءات متعددة، نتيجة ارتباطها بأشياء طبيعية متنوعة، فهو « مرتبط بالشمس والذهب والنحاس والطيب وبعض الثمار، وهذه أمور توحى بالخير والجمال والتقديس وهو مرتبط من جهة ثانية بالنبات الجاف، والمرض الذي يعترى الإنسان وما يصحبه من تغيير في اللون والشحوب، وهي أمور توحى بالضعف والانكسار والحزن (عمر، مختار، صص 115-116) إن الدلالات الإيجابية التي ذكر الله عزوجل لهذا اللون والتي رمزت للجمال والسرور قوله : « قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (البقرة / 69)

واتسم هذا اللون بدلالات سلبية، كالتشاؤم والحسد والمكر والهزيمة وتشاؤم العرب منذ القدم من الأصفر لأنّ الروم كانوا صُفرا الوجوه ، دعاهم

تنهض الصحراء بالموتى وتمشي / فارقبوها ... / وارقبوا الغصن الذي يخضر في أخشاب نعشي / تنهض الصحراء ..تمشي / تنهض الصحراء موتاً وحياءً (ممدوح 1987 ص67)

و: الاستقامة ومواصلة النضال

الشاعر الفلسطيني بإيمانه وصبره المعهود يتعهد للزيتون (فلسطين) وإن طال المدى باسترداد خضرته، التي خطفها المحتل الإسرائيلي. يسترجع الزيتون خضرته (درويش، 133)

ز : الشهادة والتضحية

تارة اللون الأخضر يحمل في طياته معاني الشهادة والتضحية وهذا ما لمسناه في المقطع التالي (أنا بنت الجراح الأخضر) للشاعرة المناضلة (حنان عواد) في قولها :

أقاتل الإعمار من أجلك / أنا بنت الجراح الأخضر / جئت الكون في ظلك / أعود عليك / في رايات ثورتنا... (سقيرق، طلعت، ص126)

ح: الوطن والأرض

الرمزية التي يتمتع بها اللون الأخضر من إحياءات حياتية ، جعلت " معين بسيسو " أن يرمز إلى وطنه بالأخضر ويطلب من الأيادي الأثمة رفع يدها عن وطنه وإبعاد الجراد (الصهاينة) عن حقوله.

يا أيادي / ارفعي عن أرضي الخضراء ظل السلسه / واحصدي من حقل شعبي سنبله / ... / وهي خضراء تنادي : يا أيادي / ارفعي عن أرضي الخضراء أغلال الجراد / وحصادي ، ولي حصادي (بسيسو، 78)

ط: المناضل الأعزل الفلسطيني

تارة اللون الأخضر في الشعر المقاوم الفلسطيني يرمز الى المناضل الفلسطيني ، الذي تبعت الحياة من دمه الطاهر فهو يولد عندما يموت .

الأخضر أوعدي، والأخضر، حين يقول / يفعل ما قالته حبيبته الخضراء / والأخضر جذر الأرض /

وتارة هذا اللون يرمز إلى اليأس والعجز والضعف والحزن ممّا ورد في قول الشاعر سميح القاسم :
وَمَرَّتْ كَفُّكَ الصَّفْرَاءُ / فَوْقَ جَبِينِكَ الْأَصْفَرُ /
وَصَاحَ الْجُرْحُ فِي عَيْنَيْكَ / ..صَاحَ الْأَلَمُ الْأَكْبَرُ / أَنَا
أَقْسَمْتُ! يَا شَعْبِي! / أَنَا أَقْسَمْتُ / أَنْ أَسْهَرَ طَوَلَ
الَلَّيْلِ / أَنْ أَسْهَرَ طَوَلَ الْعُمُرِ / أَنْ أَسْهَرَ حَتَّى الْمَوْتِ
/ أَنَا أَقْسَمْتُ أَنْ أَسْهَرَ!! (القاسم 165 / 1)
فالكف الأصفر يدل على الإفلاس والجبن الأصفر
يرمز إلى مستوى الاضطراب والضعف، والسهر
يدل على طول الانتظار والترقب، فكل هذه المؤشرات
ترمز إلى مستوى القنوط والضعف الذي وصلت
إليه حالة الشاعر.

اللون الأزرق

اللون الأزرق من الألوان التي كرهها العرب منذ القدم ونفروا منها ولذلك ربطوا بينه وبين عيون العدو. ولهذا وصفوا كلّ عدوّ بالزرقه، فقالوا: « عدوّ أزرق، نسبة إلى زرقه عين الروم وتشبيهاً بهم) (التعالبي، 2000ص106) والله تعالى وصف المجرومين الذين اتخذوا الهاً آخر، بالزرقه في قوله تعالى: «ونحشر المجرمين يومئذٍ زُرْقاً» (طه / 102) أما في الشعر العربي المعاصر والشعر الفلسطيني فتغيرت دلالاته القديمة وراح يرمز إلى دلالات أكثر حيوية كالهدوء والبرودة والجمال والأمل وغير ذلك. الجدير بالذكر هذا اللون أقل استعمالاً بالنسبة للون الأحمر والأسود والأبيض والأخضر في الشعر المقاوم الفلسطيني، ومن هذه الإحياءات التي وردت في شعر "محمود درويش"، الأمل بالخلاص من نير الاحتلال الصهيوني.

الفجر أزرق، ناعم، رطب / وكنا حين نحلم / نكتفي
بحدود منزلنا. (درويش، 1994ص543)
وتارة يرمز إلى نوع من الهدوء والتقليل من اضطرابات نفسيّة كما تجلّى في قول "سميح

العرب لذلك بنى الأصفر، والروم هم أكثر الشعوب عداوةً للعرب، وترددت هذه التسمية في الكثير من الشعر العربي، كما وردت في شعرا أبي تمام (ابوتمام، 1994ص153):

تركت بني الأصفر المراض كاسمهم
صفر الوجوه وجلّت أوجه العرب
فالشعر الفلسطيني بسبب ظروفه المأسوية جراء الاحتلال ضاعت فيه الدلالة الإيجابية لهذا اللون وبرزت في أكثر من موضع استخدام الدلالة السلبية له، فنجد صدى هذه الإحياءات في قول الشاعر المقاوم (سالم جبران) :

يا أصفر العينين والضمير ياحقود / سأحمل القيود
(جبران، 1975ص123)

فشاعرنا "جبران" وظّف اللون الأصفر كرمز للكرهية والحق الذي يتصف بها جنود الاحتلال. الشاعر المقاوم في بعض الأحيان يوظف اللون الأصفر للترميز ببعض الإحياءات وهذا ما فعله "عزالدين مناصرة" عندما استخدم عبارة «المدن الصفراء» في ترميز مباشر للمستوطنات الاسرائيلية، والتي عرّفها الشاعر من خلال اللون الاصفر إنّ ساكنيها عديمو الإنسانية ويتمتعون بنفوس مريضة يعلوها الخوف والحزن.

المدن الصفراء، المكتظة بالسكان / الدامية الأجفان،
الباهتة الألوان / الساطعة الأحزان

فتارة اللون الأصفر يرمز إلى القمع والاضطهاد والتعسف وهذا ما نلمسه في قول "معين بسيسو" :
من أجلك شلال مرايا صفر / يتكسّر في وجهي / من
أجلك أقحم أسواري / من أجلك أرجم بالنار (بسي
سو، 137)

الحقيقة لاوجود لمرايا صفر أو غيرها لكن ممّا يستنتج من النص، بأنّ إنهيّاراً وتفككاً وضياعاً يلوح في ثنايا الصورة وهذا التفكك يتجلّى بالمرايا الصفر المكسّرة، وفي النهاية يؤدي إلى الانهيار والضياع.

اللون الأسمر

هذا اللون كاد أن ينحسر من بين سائر الألوان استخداماً في الشعر الفلسطيني، وهذا اللون هو مزيج من اللونين الأسود والأبيض، فهو يحمل أبعاد وسمات البشرة العربية فمعظم العرب يتصفون بهذا اللون، ولهذا شعراء العرب ومنهم "سليمان العيسى" حاول الربط بين لونه والأرض، أي أن يضيفي اللون الأسمر على التراب للدلالة على الأصالة حيث يقول:

خذي شفتي يادار، وليركع الحب / يسلم عند الباب بالدعة الذهب / لثمتك سبعاً مارتويت ولا أكتفي / على العتبات السمر ثغر ولا لب / (العيسى، سليمان 1973 ص 105) في هذا النص حملت الأرض ملامح الإنسان العربي، ولا عجب أن يتوحد الإنسان العربي والأرض بلون واحد، لأن الأرض تعرضت إما لاحتلال أو لأغتصاب كما حل بـ"فلسطين الجريحة". ولذلك عمل الشاعر على إضفاء الأرض على نفسه، لتوسيع رقعة اللون إلى مدى أوسع. وهذا الترميز نجد انعكاساته مباشرة في قول (عزالدين مناصرة، 2006 ص 430):

يا هذا الأسمر / عرج نحو مفاتيح الأقفال ... / علّق من جانبه: ما أحلى المدن السمراء!!!

فالشاعر يرمز باللون الأسمر للإنسان العربي وبالمدن السمراء إلى الأرياف والقرى العربية.

المزج اللوني

ينفرد اللون في الصورة الفنية للنص الشعري، فيحدث أثراً جمالياً وثراءً خصباً في أبعاد الصورة على المستويين الفني والنفسي «إلا أن التداخل في التركيب له شأن عظيم، ومكان من الفضلية مرموق، لأن الصورة مع هذا المزج تتداخل وتتركب وتأتلف اثتلاف الشكلين، يصيران إلى شكل ثالث (الجرجاني، عبد القاهر 1991 ص 157) فليس

القاسم:

ساعاتُ الفجرِ الأولى / زرقاءُ / العندليبُ الأولُ
على شَجيرةِ اللّيمونِ الزّرقاءُ / أزرقُ / أنهارُ العالمِ
تَلتَفُّ على عُنُقِي الأزرقِ / جُفونُ عيني / زرقاءُ
زرقاءُ / أتلاشى في الزّرقَة. (القاسم، ص 427)

فالبحر بلونه الأزرق تحول عند "درويش" إلى مصدر من مصادر العذاب الجسدي والروحي التي يواجهها الشعب الفلسطيني.

لم تأت أغنيتي لترسم أحمد المحروق بالأزرق / هو أحمد الكوني في هذا الصفيح الضيق / المتمزق الحالم / وهو الرصاص البرتقالي / البفنجية الرصاصية.... (درويش، 614)

أما عند "زياد توفيق" فتتنوع إحياءات هذا اللون فترمز تارة إلى «الهيمنة» وتارة إلى «القمع» وتارة إلى «كبت الحريات» وماشاكلها. فالأزرق المتمثل بالاحتلال الصهيوني، هو سبب موت الإنسان وانتشار الأوبئة في مجتمع الشاعر.

هنا على صدوركم باقون كالجدار / وفي حلقوكم / كقطعة الزجاج كالصّبار / وفي عيونكم زوبعة من نار... / حتى نسلّ لقمة الصغار / من بين أنيابكم الزرقاء. (زياد، 1987 ص 196)

وتارة هذا اللون يرمز إلى العدو القديم (الإنجليز) أصحاب النوايا السوداء، الذين مكثوا الصهيونية من احتلال فلسطين. فالشاعر يحمل الإنجليز مآسي شعبه وماتعرضوا له من ويلات وضياع على يد الاحتلال.

أنت جرّعت أمتي كأس ظلم

أنت أسلمت شعبنا للهزائم

إيه زرق العيون سود الطوايا

سوف يصحو من كان من قبل نائم

(شراب، محمد حسن، 2006 ص 331)

من أولئك الرجال وتلك المؤسسة، إحتلال السلام ونشر العدل ودعم الشعوب من نير الاحتلال، وبسط الحرية والمساواة، ولكنها بدل ذلك تسعى جاهدةً دوماً في دعم المحتل ومساعدة الديكتاتوريات في قمع شعوبها واتخاذ مواقف مزدوجة يندى لها جبين الإنسانية، فاللون الأسود المتمثل بالأحذية، أفرز دلالات توحى بالسطو والتآمر والكبت وسحق مقدرات الشعوب، فجاء ذلك تفاقمت أزمة الشاعر وشعبه، فتغير أحمرار دمه إلى أصفرار فيما يشير إلى نضوب الحياة وتوسيع رقعة الضياع والموت.

أيها السادة / خلواً القرد كما شاء يدور / وتعالوا / إنني أفقد للدنيا جسور / ودمي أصفرَ وقلبي انهار في وحل النذور / أيها السادة من كل مكان / ليكن عاري طاعوناً... وحزني أفعون / أيها ... الأحذية اللامعة السوداء / في كل مكان نقمتي أكبر من صوتي والعصر جبان / وأنا مالي يدان. (القاسم، صص 511-510)

ثلاثيات للألوان

الشاعر المناضل الفلسطيني "عدوان ممدوح" من خلال التركيز على الكتل الثلاث، اللون الأبيض والأسود والأصفر، رسم بريشته ملامح الإنسان الفلسطيني المشرّد من أرضه.

رأيتك أمس عابرةً / وكنت غمامة بيضاء تغمرني / مررت وكنت ترتعشين / مثل نوافذ الأكواخ في المطر / لففت الغربة السوداء شالاً باكياً / ومضيت بين الأهل والمحن / وغلفت البكاء ببسمة صفراء / كالمدن. (ممدوح، 1986، صص 37-36)

فالنص يتحدث عن فتاة، وهي تعيش في حالة من التذبذب تهيمن عليها قوي البطش والظلام. فالشاعر أراد من خلال توظيف (الغمامة البيضاء) تصوير حالة الفتاة وهي مفعمة بالقيم الإنسانية السامية المتصلة بالطهر وبراء الطفولة، فعندما

المقصود من ذلك أن يريك كل لون على انفراد، «وإنما القصد أن يرى الشبه من اجتماع اللونين والهيئة الخاصة إلى صلة من مخالطة أحد اللونين الآخر». (المصدر نفسه، ص 159) وتعددت الثنائيات والثلاثيات للألوان في الشعر المقاوم الفلسطيني لأغراض متنوعة ومن هذه الثنائيات:

الأحمر والأخضر

الشاعر المقاوم الفلسطيني "عزالدين مناصرة" من خلال توظيف كتلة اللونين الأحمر والأخضر يرمز إلى الشهيد الفلسطيني، إذ يقول:

طيلة أيام الأسبوع، أسافر / مابين الجذرا الأحمر، والجذرا الأخضر / مابين عناق اللونين أنوب (مناصره، 453) فالجذر الأحمر هو دم الشهيد ويعني الحرية الحمراء والجذر الأخضر يشير إلى الحياة والخلود للشهداء وهذا مانص عليه القرآن وبالتالي امتزاج اللونين يمثل الحرية والحياة في آن واحد. وفي مقطع آخر يصف عزالدين مناصرة، الطفل الذي سقط شهيداً فزف على فرس خضراء «بالقمر الأحمر».

سيعود عريساً يا شجر الزيتون، يعود / تلتخ بالحناء المائل للحمرة / كان القمر الأحمر في حالة بدرٍ / ورأين القمر على هيئة طفلٍ / يركب فرساً خضراء. (مناصرة، 438)

فالشاعر من خلال استخدام لفظة القمر أراد الإيحاء بالضياء الذي يتسم به الشهيد عند موته وبالفرس الأخضر أراد الترميز بالخلاص والخلود. فبالتالي اجتماع اللونين الأحمر والأخضر مثلاً يعني الحرية والخلاص للشعب الفلسطيني.

الأصفر والأسود

الشاعر المناضل "سميح القاسم" من خلال توظيف كتلتي الأصفر والأسود بدلالاتهما غير المحمودة، رسم صورة ساخرة ولادعة للأمم المتحدة ورجالها الأنقيين، أصحاب الأحذية السوداء، فالمفروض

ثقافة الشاعر ومعرفته باللغة العالمية وقيمتها الفنية. ومن أبرز نتائج هذه الدراسة:

1. استطاع شعراء المقاومة في فلسطين تحويل اللغة الشعرية إلى لغة رامية تستمد قدرتها الإيحائية من تجاوزها الواقع .

2. استطاع شعراء فلسطين أن يحيلوا كل لون ومدلولاته إلى رموزٍ تحدٍ ونضال في وجه المحتل .

3. خروج اللون الأحمر من دائرته الشمولية وتوظيفه في بؤرة واحدة ، جعلته يصب في خانة التضحية والشهادة والثورة والتمرد والثأر والحركة الصاخبة ، وكأنه رمزٌ للحرية والتحرر من نير المحتل.

4. الإكثار من تلوين الصورة الشعرية بألوان العلم الفلسطيني ، يحمل في طياته عراقة الإنسان الفلسطيني في أرضه .

5. توظيف اللون الأسمر المتعلق بالإنسان العربي وربطه بلون الأرض ، يشير إلى أصالة الفرد الفلسطيني وتشبثه بأرضه رغم تهجيريه وتشريدته من قبل الاحتلال.

6. وظّف الشعر الفلسطيني اللون الأسود وما يتعلق به من مفاهيم ، لبيان المأسى والكوارث التي حلت بالشعب الفلسطيني من قبل المحتل وبيان إفراقت هذا اللون على نفسية المواطن في أرض الرباط.

7. توظيف شخصية المسيح في الشعر الفلسطيني علاوة على التضحية والفداء تأتي في إطار إيصال القضية للعالم المسيحي واستمالة العون منه .

8. استخدام الألوان بكثافة لتلوين الصورة الشعرية جاء في إطار الترميز إلى أصالة وعراقة الفلسطيني في أرضه ، وتصوير صموده وثباته رغم محاولات العدو لطمس هويته وتاريخه .

9. استخدام ثنائيات الألوان وثنائياته جاء تارةً في إطار المفارقة وأحياناً إلى رسم ساخر وأحياناً إلى التآني والتأمل وتارةً إلى القمع وتارةً التحدي

تواجه الهجرة والابتعاد والاغتراب، يطفو الحزن على السطح ويغمر البياض، نتيجة الكآبة والحزن التي تستطير على الفتاة. فأغلال الغربة السوداء تتبعها (البسمة الصفراء) التي تحمل في طياتها الذبول والعذاب والمرض، بما يلائم الاصفرار في الطبيعة المقترن بالجفاف واليباس وفقدان معاني الحياة ، بما تقابله من ضياع (للبسة الخضراء) والذي يحمله الأخضرار من معاني الحياة والنضارة والفتوة، وهكذا تكتمل الصورة الشعرية بألوانها الثلاثة، لتوحي بفقدان أسباب الحياة ومقوماتها ، نتيجة هيمنة السواد والاصفرار على البياض.

ومرةً الشاعر يعمد إلى استخدام مجموعة من الألوان الثلاثية ليرسم صورة العلم الفلسطيني من خلال الشهيد المضرّج بدمائه والتي فيها الأحمر يرمز إلى التضحية والأسود يرمز إلى الحزن والأسى والأخضر يوحي بالأمل والبعث. فالدلالات المولدة من الألوان الثلاثة للعلم، توحي بالحرية والأمن والسعادة والأمل الذي يرفرف على أرض فلسطين. سيعود عريساً ياشجر الزيتون، يعود / تلتخ بالحناء المائل للحمرة... / بل دمه أخضر / بل أسود / بل بين الأخضر والأحمر (مناصرة، ص438)

خلاصة البحث

غدت تقنية توظيف الألوان ودلالاتها في الشعر المقاوم الفلسطيني بأشكالها كافة، من الأساليب التي استهوت الكثير من الشعراء ، فتنوعت أسباب لجوء الشعراء لهذه التقنية ومن هذه الأسباب :

- تنبع من الحاجة لإثراء النص من ثراء اللون ودلالاته الفنية وقدرته الباهرة على الإيحاء والتأثير على ذهن المتلقي.

- توليد دلالات وإيحاءات حديثة في النص الشعري واستكشاف العلاقات الحسية التي تربط الشيء بغيره من الأشياء.

- استدعاء الألوان ودلالاتها في الشعر تدل على سعة

سقيرق، طلعت، عشرون قمراً من وطني، سورية، دمشق، د.ت.

شراب، محمد، محمد حسن، شعراء فلسطين في العصر الحديث، الأردن، عمان، 2006.

صقر، اياد محمد، فلسفة الألوان، الأردن، عمان، الأهلية للنشر والتوزيع، 2010.

طوقان، فدوى، الأعمال الشعرية، بيروت، منشورات دار الآداب، 1996.

عبد الفتاح، رياض، التكوين في الفنون التشكيلية، القاهرة، دار النهضة، 1985.

عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب، لبنان، بيروت، دار فارابي، 1988.

عمر، أحمد مختار، اللغة واللون، مصر، القاهرة، عالم الكتاب، 1982.

العيسى، سليمان، ميسون وقصائد أخرى، دمشق، منشورات اتحاد كتّاب العرب، 1973.

فتحي، خضر، اللغة العربية، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، 1999.

القاسم، سميح، الأعمال الكاملة، لبنان، بيروت، دار القلم، 1993.

الكبيسي، طراد، الشعر والرسم رؤية طوبولوجية، بحوث المهرجان الحادي عشر، بيروت، د.ت.

ممدوح، عدوان، الأعمال الكاملة، بيروت، دار العودة، 1987.

مناصرة، عز الدين، الأعمال الشعرية، الأردن، دار لمجد لاوي للنشر، 2006.

مواسي، فاروق، الأعمال الكاملة، سورية، دمشق، 2003.

10. استخدام اللون الأخضر ورمزيته بكثافة من قبل الشعراء ارتبط بمفاهيم دينية ودلالات أسطورية مما جعله يرمز إلى الانبعاث والحياة والأمل في مقابل الموت والتقتيل والقنوط.

مصادر البحث

القرآن الكريم

أبوتام، ديوان، لبنان، بيروت، دار الشروق، 1994.

انطولوجي، توثيق، شعراء فلسطين في القرن العشرين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 2000.

بسيسو، معين، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة، 1981.

البهقي، تاريخ البهقي، إيران، طهران، نشر مهتاب 1376 ه.ش.

الثعالي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وسر العربية، بيروت، دار الآفاق، 2000.

الجرجاني، عبد القاهر، اسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، مصر، القاهرة، 1991.

الدجاني، ماجد، ديوان قمر على شباكنا، القدس، اتحاد الكتّاب الفلسطينيين، 1999.

درويش، محمود، الأعمال الشعرية، بيروت، دار العودة، 1994.

دغش، سليمان، ديوان هويتي الأرض، لبنان، بيروت، 1979.

الرازي، أبو بكر محمد، مختار الصحاح، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2003.

زغلول، لطفي، قصائده الشعرية، فلسطين، نابلس، مكتبة ريم، 2006.

زغلول، لطفي، نقوش على جدران الغضب، فلسطين، نابلس، مكتبة ريم، 2006.

زياد، توفيق، ديوان، بيروت، دار العودة، 1987.